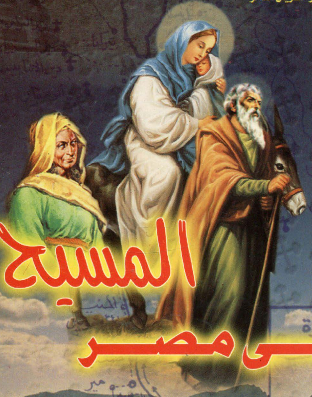
٤

الموسوعة القبطية الشاملة
٣

دراسات روحية بأشراف
نيافة الحبر الجليل
الأنبا متاؤس
اسقف ورئيس
دير السريان العامر



المسيح فى مصر

بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

دراسات بإشراف نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

المسيح فى مصر

الأحداث والتقاليد والأماكن المُتعَلّقة

برحلة العائلة المقدسة إلي الديار المصرية

The Flight of The Holy Family Into Egypt

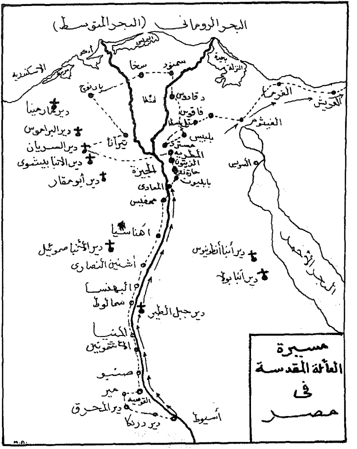
(علي ضوء المخطوطات وآراء المؤرخين وعلماء الآثار)

وبمناسبة قُرب الإحتفالات ببدء الألفيَّة الثالثة

لميلاد السيد المسيح

بقلم

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر


البحر الرومانى (البحر المتوسط)
الإسكندرية
سخا
سمنود
المنزلة
دقادوس
فاقوس
تل بسطا
بلبيس
مسطرد
المطرية
الزيتون
حارة زويلة
بابليون
المعادى
منفيس
الجيزة
دير البراموس
دير السوريان
دير الانبا بيشوى
دير أبو مقار
الفرما
العريش
السويس
اهناسيا
دير الأنبا صموئيل
أشنين النصارى
البهنسا
سمالوط
دير جبل الطير
المنيا
الأشمونين
صنبو
مير
القوصية
دير المحرق
أسيوط
دير درنكا
دير أنبا أنطونيوس
دير انبا بولا
البحر الأحمر
مسيرة العائلة المقدسة فى مصر



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

وصف تفصيلي

لرحلة العائلة المقدسة الي الديار المصرية

The Journey of The Holy Family into Egypt

تمهيد :

ونحن علي أبواب القرن الواحد والعشرين، لميلاد فادي البشرية، يسُرنا أن نتناول معاً بالشرح هذه الرحلة المُباركة، والأهداف منها، والدروس المستفادة منها ·

ولعلنا نتساءل - أولاً - **لماذا جاءت العائلة المُقدسة إلي بلادنا المصرية بالذات؟!** للأسباب الآتية: -

(١) تحقيقاً للنبوات الواضحة:-

{أ} سجّل الوحي المقدس، في سفر أشعياء النبي (٧٠٠ ق.م)

ما نصه: «هوذا الرب راكب علي سحابة سريعة وقادم إلي مصر، فترتجف أوثان مصر من جهة، ويذوب قلب مصر داخلها» (أش ١٩:١).

وقد ذكر الآباء القدامي أن «السحابة» التي ركبها الرب يسوع - في طريقه من فلسطين إلي مصر - هي العذراء «أم النور» [١]، لأنها تُشبه السحابة «البيضاء» في نقاوتها وخفتّها وارتفاعها وسُمّوها الروحي.

وقد شهد المؤرخ الأسقف «بلاديوس» (أواخر القرن الرابع) أنه شاهد أصناماً محطمة بداخل معبد وثني فرعوني بمدينة الأشمونين [٢].

(١) الدفنار والسنكسار يوم ٢٤ بشنس، وأستاذنا الرحل العلامة الهولندي يعقوب مويزر، مقالة عن الرحلة بمجلة الإصلاح (القاهرة - مايو ١٩٣٣). ص ٢٣٥ . ونيافة الأنبا غريغوريوس الدير المحرق ص ٤٢ .
(2) Palladius, The Paradise Of The Holy Fathers, Vol . 1P. 304 .

{ب} وقال الوحي في سفر هوشع النبي (٧٢٢ ق.م) « من مصر دعوت إبني» (هوشع ١١:١).

{جـ} كما تنبّأ العهد القديم أن الرب سيُبارِك شعبه المصري المؤمن بفدائه، كما قال الرب «مبارك شعبي مصر» (أش ٢٥:١٩).

{ د} وسيكون في مصر مذبح للرب، كما ورد في سفر إشعياء: «في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخومها » (أش ١٩:١٩).

أما المذبح الذي في وسط أرض مصر فهو مذبح كنيسة العذراء الأثرية بدير المحرق والذي كرسّه الرب يسوع بنفسه. وهو في منتصف أرض مصر تماماً. أما العمود عند تخومها (حدودها) فهو إشارة للقديس مارمرقس الرسول الذي أسس

الكرسي المرقسي سنة ٥٦م في الإسكندرية.

(هـ) وبذلك تحققت الآية القائلة: «فيُعرف الرب في مصر، ويعرف المصريون الرب ويقدمون ذبيحة وتقدّمة» (أش ١٩:٢١).

(٢) لأن مصر هي ملاذ دائم (ملجأ) لكثير من الأنبياء: مثل إبراهيم الخليل ويعقوب، والأسباط وموسي وهارون ويشوع وإيليا وإرميا .... الخ.

(٣) أنها ليست واقعة تحت سلطان هيرودس الظالم.

(٤) أن الطريق اليها سهل الوصول اليه بسرعة وبدون عوائق طبيعية كبيرة.

(٥) أن الرب أراد أن يعطينا درساً في الهروب «الإيجابي»

من أمام الأشرار، ومن أماكن الشر. كما قال الرب للوط «إهرب لحياتك... لا تقف في كل الدائرة» (تك ١٩:١٧).

وكذلك هرب يوسف الصدّيق من أمام زوجة فوطيفار الشريرة. ودافع القديس البابا أثناسيوس الرسولي عن هروبه من أمام الهراطقة الأريوسيين، خمس مرات (Apologia de Fuga) وهرب القديس أرسانيوس من أمام البربر، حتي لا يقتله أحدهم ويذهب إلي الجحيم بسببه ... الخ [1].

(٦) لكي يُبارك المسيح أرضنا وخاصة شعبه، حسب وعده «مبارك شعبي مصر» (أش ١٩:٢٥).

✠ ✠ ✠

(١) راجع كتابنا : «أهرب لحياتك» . طبع مكتبة المحبة

خط سير الرحلة المباركة إلي مصر

✣ ✣ ✣

من بيت لحم إلي الحدود المصرية:

(١) بدأت الرحلة إلي «بيت لحم» من الناصرة حيث تمت ولادة المسيح في مذود البقر (لو ٢:٧) ولقاء العائلة المقدسة مع «المجوس» (Magians)، وهم من علماء الفلك من الفُرس، كان زعيمهم القديم ذرادشت نحو (٧٠٠ ق.م) قد أعلمهم بميلاد شخصية عظيمة، وسيظهر نجمه في المشرق، نقلاً عن نبوءة بلعام (عدد ٢٤:١٧)، وعليهم تقديم الإحترام الواجب إليه.

ويذكر التقليد أن ثلاثة من علماء الفلك الفُرس (من إيران الحالية) قد سافروا بإرشاد النجم العجيب الذي ظهر لهم. وكان يسير من الشرق إلي الغرب (علي عكس الطبيعة) وأوصلهم إلي أورشليم حيث ظنوا أن الطفل الملوكي سيكون مولوداً في قصر عظيم (كملك لليهود) فأتوا للسجود له بهذه الصفة والكرامة.

فإضطرب هيروس الملك الطاغية، وخاف علي عرشه، وسأل رؤساء الكهنة عن مكان ميلاده. فذكروا له نبوءة ميخا النبي (مي ٥ : ٢) بأنه سيولد في «بيت لحم» (وهي كلمة عبرية تعني «بيت الخبز» لأنه هو خبز الحياة). فالتقي هيرودس مع المجوس، وأرسلهم لبيت لحم للبحث عن المولود الملوكي. وطلب منهم - بخبث - أن يرجعوا، ويدلوه علي موضعه، ليذهب أيضاً ليسجد له، وهو في قلبه يريد التخلُّص منه بقتله.

فأرشدهم النجم إلي مكان ميلاد الصبي (وقيل أن النجم ربما كان ملاكاً سماوياً). وقدموا له هدايا منها «الذهب» (الذي سيساعد علي سد مصاريف رحلة العائلة المقدسة إلي مصر وعودتها منها) و «اللُّبَان» (البخور، رمز لأنه ملك) و «المُر» (رمز لتحمّله الآلام من أجل خلاص الإنسان من الخطية الجدية). (وكإله رحيم وعادل في نفس الوقت).

(٢) وأمر الرب المجوس - في حُلم - بعدم الرجوع إلي

هيرودس. فأطاعوا وعبروا نهر الإردن، وإتجهوا شرقاً نحو بلادهم (مت ٢:١٢).

(٣) ولما إنصرف المجوس ظهر ملاك الرب (غبريال)، في حلم الي القديس يوسف النجار البار، وأبلغه رسالة السماء قائلاً:- «قم وخذ الصبي وأمه (مريم) وإهرب إلي مصر. وكن هناك، حتي أقول لك، لأن هيروس (الكبير) مُزمع أن يطلب الصبي ليهلكه» (مت ٢:١٣).

(٤) ورغم أنه كان شيخاً طاعناً في السن، وأن الرحلة طويلة جداً وشاقة للغاية، لكنه بروح الإتضاع والطاعة والإيمان والتسليم لمشيئة الله، قام فوراً، وأخذ يسوع الطفل وأمه وسافروا ليلاً (مت ٢:١٤) (رغم خطورة السفر ليلاً). وإتجه غرباً من بيت لحم إلي غزة، ثم إلي مدينة رفح المصرية.

(٥) وكانت بداية الرحلة ـ حسب التقليد القبطي القديم يوم ٢٤ بشنس (١ يونيو) وأصبح هذا اليوم عيداً من أعياد السيد المسيح السبعة (السيدية الصُغري).

(٦) وقد إمتطت أم النور حماراً، أستعاره القديس يوسف النجار من أحد سكان الناصرة. وحملت البتول الطفل الإلهي على ذراعيها، وقاد القديس يوسف الدابة، كما جرت عليه العادة. وكانت الرحله في سرية تامة، تحرسها الملائكه ويقودها الرب يسوع.

(٧) وكانت معهم "**سالومي**" (Salome) وقيل إنها كانت خالة أم النور، وهى أم القديسين الرسولين يوحنا ويعقوب إبّني زبدي الصياد (مر ١٥: ٤٠، مت ٢٠: ٢٠) وسافرت مع العائلة المقدسة، كما ذكره التقليد القديم [٣]

وقيل أيضاً أنها كانت «قابلة» من بيت لحم في مصادر

---

(٣) السنكسار (٢٤) بشنس، والدفنار (٨ بؤونة)، وذكصولوجية (Dioxology) بالقبطية محفوظة بمكتبة الفاتيكان، وكذلك راجع كتاب: -

+ Legends of Our Lady Mary, The Perpetual Virgin, translated from the Ethiopic Manuscripts, By Budge, (London 1922) P. 67, 84.

أخري، كان يوسف النجار قد أتي بها لتساعد أم النور علي وضع وليدها، وقيل أنها لما جاءت للمزود وجدت العذراء قد ولدت يسوع بمفردها، فتعجبت وحاولت معرفة ما حدث فشُلّت يدها، وبشفاعة أم النور، عادت يدها سليمة!!

(٨) ويُسجّل القديس متي البشير أنه «لما رأي هيروس أن المجوس سخروا به (لم يحققوا وعدهم بالمجئ اليه) غضب جداً، فأرسل (جنوده) وقتل جميع الصبيان في بيت لحم، وفي كل تخومها (ومنها بالطبع أورشليم ومدن وقرى أخري كثيرة ومجاورة) بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس تحقيقا لنبوءة إرميا النبي» (متي ٢: ١٦ - ١٨).

وهو ما نسبه كثير من المُفسرين إلي ما سجّله القديس يوحنا البشير - في سفر الرؤيا - عن ألـ ١٤٤٠٠٠طفل البتوليين الموجودين في السماء (رؤيا١٤ : ١ ـ ٥). وإن كان البعض يري أن هذا العدد الضخم قد يفوق الواقع، لكننا نري صحته، لاسيما أنه لأعمار مختلفة. وأنه معروف عن هيرودس أنه قتل كثيرين جداً - في زمانه - ومنهم زوجته وأولاده، كما قال المورخ اليهودي يوسيفوس، الذي كان معاصراً له، وشهد جرائمه.

وتذكر التقاليد أن الجند دخلوا الي الهيكل نفسه وحاولوا خطف الطفل يوحنا بن زكريا الكاهن، فصعد به الي جناح الهيكل، حيث اختطفه ملاك الرب، ومضى به الي البِّرية حيث عاش مع نُسَّاك يهود، عُرفوا بإسم «الأسينيين». وقد تم اكتشاف طريقة حياتهم ومخطوطاتهم في وادي قمران (غرب البحر الميت) سنه ١٩٤٧ .كما يذكر التقليد أن الطفل برثلوماوس (نثنائيل) قد وضعته أمه في سلة، وأخفته هكذا بين أغصان شجرة، وأعلن له السيد المسيح هذا السر، في لقائه معه (راجع يوحنا١:٤٨).

الوصول الي سيناء المصرية:

(٩) بينما واصلت العائلة المقدسه رحلتها في الطريق من رفح الي العريش، ذكرت بعض التقاليد أنها تعَّرضت لإثنين من قُطاع الطرق، ولكن الله لم يسمح لهما بالإعتداء علي العائلة المقدسة. حيث دب نقاش بين اللصين، وانتهى بالرثاء للمسافرين المساكين، وتطَّوع أحدهم ومسح عرق الطفل يسوع، فوجد أن

رائحته زكية جداً، فقال بتعبئته في قارورة، وقام اللص ببيعها في سوق أورشليم بثمن غالٍ جداً، وقيل أنها هي نفس القارورة التي اشترتها المرأة الخاطئة، وسكبتها علي رأس المُخَلِّص، في بيت سمعان الأبرص (مرقس ١٤: ٣ - ٩)!! وقيل أن اللصين هما ديماس وتيطس اللذين صُلبا مع السيد المسيح فيما بعد .

(١٠) واتجهت العائلة المقدسة في الطريق الساحلى بشمال سيناء، حيث اقتربت من مدينة العريش المصرية، وكانت في أيام المسيح تسمى «Rinocoroura»[٤] وفي العصر المسيحى كان لها أسقف يُدعى «هرموجينوس»Hermogene، وكان من آباء مجمع نيقيه سنه ٣٢٥، كما ورد في مخطوطة قبطية بالمكتبة الوطنية بباريس[٥] .

وباتت العائلة المقدسة ليلتها خارج أسوار هذه المدينة

(4) Amélineau, La Geographie de L' Egypte à L'Epoque Copte, Paris 1893, p. 404.

(5) Mss. Copte de la Bibl. Nat. Fragm. N. 129, fol. 24.

المصرية الكبيرة. وقيل أن تيطس اللص طلب أن يرافقها حتي الفرما.

(١١) واستمرت العائلة المقدسة تقطع الطريق الساحلى الشمالي لسيناء غرباً حتى وصلت الي مدينة «الفرما». وكانت ميناءً هاماً. وهي إحدى قلاع مصر المدافعة عن حدودها الشرقية، وقد ذكر الراهب برنارد (Bernard) أنه زارها سنه ٨٧٠ م ورأي فيها كنيسة بإسم السيدة العذراء، تذكاراً لمرورها بالمدينة (٦) وقد عثرت بعثات أجنبية علي آثارها وأسوارها، خلال الحفائر التي كانت تجري قبل حفر ترعة سيناء الجديدة، وكانت هذه الكنيسة الكبيره موجوده أيام المؤرخ العربى المقريزي (١٤٤١م)، ثم تهدمت مع كنائسها وأديرتها وخُربت في أيام الفرس ثم في

(6) Itinerarium Bernardi Monachi, Genéve 1880, tom. I, p. 313.

+ Jullien,L 'Egypte Biblique & Chrétien, p. 242

+ Otto Mienardus, In The Steps of The Holy Family, (Cairo 1963) p. 23

عـهـد العرب والصليبيين سنه ١١١٧ . وجاري ترميمـهـا الآن بمعرفة هيئة الآثار المصرية .

وقـد تسـمـت في القـبطيـة "Peremoun" وفي اليـونانيـة "Pelusium" (منطقة بالوظة الحالية شرق بورسعيد) واستمدت إسمها من الطين (Pelau) (وحاليـاً سهل الطينة) . وأشير الي أحد أساقفتها الأقباط، وهو أنبا «يوساب»، الذي حضر مجمع أفسس (٤٣١م) كـمـا ذكره أميلينو(٧) وتسـمت في العـصـر العـربي "الفـرمـا" (السنكسـار ١٨ برمـهـات، ١٣ بشنس، ١٢ أبيب) وكانت قد قدمت كثيراً من الشهداء، في العصر الروماني بالذات(٨) .

وقد عبرت العائلة المقدسة برزخ السويس جنوب بحيرة المنزلة، من الفرما ، في طريقها الي شرق الدلتا (أرض جاسان) .

✥ ✥ ✥

---

(7)Ibid . p. 318.

(8) + Hyvernat, Actes des Martyrs de L'Egypte, pp. 135 - 137

+ Codex Vat. Copt., Lxvi, fol. 161 - 62.

العائلة المقدسة في شرق الدلتا:

(١٢) وسارت من الفرما في طريقها العادى (عند القنطرة الحالية) الي أرض جاسان، ووصلت إلي مدينة «فاقوس» الحالية. وكانت تسمى قديماً «ترابيا» (Trapia) كما جاءت في كتب المؤرخين الاغريق القدامى، وكما ذكره الأثريون أميلينو وكاترمير وشامبليون. وكان لها أسقف إذ بعدما تخرّبت صان الحجر (تانيس)، إنتقل الكرسى الأسقفى منها الي فاقوس (كما قال أميلينو). وأشار اليها المقريزي في خططه .

كما ورد في مخطوطة سيرة القديسين أبادير وأخته إيرائي:

« أنه كان من أصحابهما - قديس مسيحي - في سجن (Antinöe) يسمى أنبا جامول (جمل) وأنه من مدينة Traphia (فاقوس) » [٩]. وسارت العائلة المقدسة في الطريق الحالى من

(9) + Hyvernat, Op. cit. P. 99.
+ Amélineau, P. 483. Meinardus, The Holy Family in Egypt P. 27 .

فاقوس الي الزقازيق.أو من مدينة رعمسيس (قنتير بفاقوس)، كما قال ميناردوس،الى حيث توجد آثار «تل بسطة» الحالية بضواحي الزقازيق.

وينقل ميناردوس (الأستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة) عن تقليد أسباني قديم (١٢٧٥) أنه كانت الحرارة شديدة فآوت العائلة المقدسة في وادي الطميلات إلي مغارة (Cave) كان بها تنين ضخم (dragon)، فلما دخل الطفل الإلهي إليها خر الوحش ساجداً، كما جاءت عدة أسود ووحوش أيضاً ودخلت إلي الكهف ولم تضرهم، تحقيقاً لنبوءة أشعياء النبي (١١:٦).

كما كانت هناك نخلة بها تمر رطب، استظلّت بها العائلة المقدسة، بعد رحلة شاقة، وإشتاقت العذراء أن تأكل من بلحها، فأمرها يسوع، فانحنَت النخلة حتي مدت البتول يديها إليها وأخذت من بلحها. كما أشار الفادي نحو جوفها فأخرجت منه ماءً حلواً للشرب.وملأت قرْبتها.

وهناك إشـارة إلي أن هذا الحـدث إنما تم في المطرية بجـوار شجرة البلسم، كما سيأتي ذكره، طبقاً لرواية ميناردوس نقلاً عن مخطوطات قديمة.

(١٣) ومـدينة بسـطة هذه كانت مقـراً «ليـوسف الصِدِّيق» وتُسمّي «قيبسطة» فـي سفر حزقيال النبي(٣٠:١٧)، وكان إسمها المصري القديم «بر ـ باستت» Bastt (بلدة الإله «القط» Basti)[١٠] وقد أشار المؤرخ هيرودت إلي أهميتها الاقتصادية والسياسية في أيامه (القرن الخامس ق . م) .

وتُسجّل المخطوطات القبطية إسمها ضمن سيرة القديسين أبادير وإيرائي، في عهد دقلديانوس. كما أيضاً نُفي إليها القديس «أبالي» Apoli بعد تعذيبه (حسب مخطوطة بالمكتبة الوطنية الفرنسية).

(10) Champollion, L'Egypte Sous Les Pharaons, 11, P. 63, 98.
+ Amélineau Ibid. P 89.

وفي رواية المؤرخ الأسقف القبطي يوحنا النقيوسي (١١) (القرن السابع) نقرأ عن ثورتها ضد الإمبراطور البيزنطي فوكا (Phocas) .

ويروي البابا ثاوفيلس/ ٢٣ (٣٩٣ ـ ٤٠٣) في ميمره الذي ضم كل تفاصيل رحلة العائلة المقدسة في مصر (بناء علي رؤيا ظهرت فيها أم النور له، بناء علي طلبه، وشرحت له أحداثها وأماكنها) أن العائلة المقدسة قد وصلت (من فاقوس إلي بسطة ظهراً (١٢) ، وإستظلت بشجرة كانت هناك، من حر ذلك اليوم الشديد، وأستراحت قليلاً تحتها.

وعطش الطفل يسوع حسب رواية البابا ثاوفيلس الذي قال أن السكان رفضوا إعطاء أم النور القليل من الماء، بعدما سقطت أصنامها أمام عظمة الفادي (ولازالت آثارها تُشاهد للآن محطمة

(11) Chronique de Jean de Nikiou, P. 392 .

(١٢) مخطوطة رقم ١٤/٩ بدير المحرق (نيافة الأنبا غريغوريوس، الدير المحرق).

ومُلقاة في منطقة تل بسطة... بجوار مباني جامعة الزقازيق الحالية) .

ولما بكت أم النور، مسح الطفل الإلهي دموعها، ثم رسم علي الأرض بأصبعه دائرة. وفي الحال صار داخل الدائرة نبع ماء عذب، باركه يسوع بالشُرب منه. وقد ذكرت جريدة الأهرام (أواخر سنة ١٩٩٨) أن حفائر جامعة الزقازيق قد توصلت الي موقع هذه البئر ووجدت ماءً. ونظراً لسقوط أصنام المصريين أمام جلال الرب يسوع،كما تنبأ أشعياء النبي، أساء كهنتها إلي العائلة المُقدسة، وشيّعوها في الطريق، حيث أستقبلهم رجل طيب من بسطة يسمي «قلوم» Klom، (كما رواه أنبا زخارياس أسقف سخا، في ميّمره (٦٩٥) عن تلك الزيارة التاريخية). (١٢) . وقادهم إلي خارج المدينة بسلام، حتي أوصلهم إلي منطقة مسطرد الحالية.

(١٢) نيافة الأنبا غريغوريوس، الدير المحرق، ص ٥٢ .

وذكر أنبا تاوفيلس - في ميمره - أنه في الطريق الي تل بسطة حاول لصان سرقة ملابس العائلة المُقدسة، ولكنهما لم يأخذا سوى صندل يسوع الفضي.

وفي رواية أخري، أن سالومي رأت رجال هيرودس من بعيد، فاختبأت العائلة المُقدسة في حقل قمح، ولما وصل الأشرار إلي قُرب المكان، أقنعهم أصحاب الحقل بأنه من الصعب الدخول الي الحقل دون أن تنكسر أعواد القمح، وبذلك نجت العائلة المقدسة وسافرت إلي مسطرد. وقيل إن كنيسة مارجرجس الحالية بالزقازيق (المطرانية) في نفس مكان كنيسة قديمة بإسم أم النور.

(١٤) وإستراحت العائلة المقدسة في مسطرد، وهناك أنبع الطفل يسوع نبع ماء عذب، شرب منه وباركه، وهناك أيضاً أحمتَّه البتول، وغسلت ملابسه الطاهرة. ولذلك دُعي هذا المكان باسم «المَحَمة» (Bimanpokem = بالقبطية) (١٣).

(١٣) ميمر البابا ثاوفيلس، مخطوطة ١٤/٩ بدير المحرق، والميمر الثالث للأنبا زخارياس أسقف سخا، السنكسار القبطي (٢٤ بشنس).

وقد تم بناء كنيسة بإسم أم النور في تلك المنطقة سنة ١١٨٥ مازالت موجودة (بمسطرد)، وتم تكريسها في يوم ٨ بؤونة سنة ٩٠١ ش [١٤] ولا يزال بها بئر ماء تشفي المرضي الذين يؤمنون بشفاعة وبركة **أم النور**. وتُقام بها نهضة روحية سنوية، ويتردد عليها الكثيرون بمناسبة عيد تكريس الكنيسة.

(١٥) ويروي البابا ثاوفيلس، والأسقف الأنبا زخارياس (أسقف سخا في القرن السابع) أن العائلة المقدسة رجعت مرة أخري شمالاً نحو «بلبيس»، التي عُرفت، في العصر الفرعوني، باسم «بَرْبِس» (بيت الإله بس = القط، ومازال العامة يدعون القطة = الهِرّة = بسّة). وذكر أميلينو أنها تسمت في بعض المخطوطات القبطية (Phelbes)، كما تسمت أيضاً Bocos أو Pharvait [١٥]، وقد صارت أسقفية مسيحية (وحالياً تتبع

---

(١٤) الدفنار (١٤ بؤونة).

(15) Brugsch, Dict. Geogr., P. 294.
+ Amélineau, pp. 333 - 34, & Un Doc. Copte au Xine siécle, Martyr de Jean de Phanidjoit, in Journal Asiaque, Mai 1887, P. 21.

مطرانيـة الشـرقـيـة، تحت رئاسـة نيـافـة الحـبـر الجليل الأنبـا « أنجليوس» ومقره فاقوس شرقية) .

وأشار أميلينو إلي سيرة شهيد إستشهد بها في القرن ١٣ في عـهد أنبـا مـيخـائيل أسقف بسطة وبلبيس، وإسمـه «يوحنا »(١٦) وهو من بلدة بالقرب من «أوسيم» (بالجيزة) .

ويروي تقليد قديم أن الطفل يسـوع رأي أرملة تبكي، وكـانت وسط جمع كانوا يسـيرون، ويشيـعـون وحيدها إلي قـبـره، فتحنن عليـهـا ومـضي مع أمـه. ورفـعـتـه لأعلي حتي لمس النعش بيـده الطاهرة، فـقـام الميت من الموت بقـوة لاهوته ودفـعـه لأمـه، (تماماً كـمـا حدث - فـيـمـا بعـد - في معـجزة إقـامـة إبن أرملة مدينة نايين بفلسطين = راجع لوقا ٧ : ١١ - ١٦).

---

(16) Jullien, L'Egypte . . . . . . P. 243.
+ Meinardus, The Holy Family In Egypt (Cairo) P. 33 .

كما يذكر نيافة الأنبا غريغوريوس - في كتابه عن الدير المحرق - أنه سمع تقليداً محلياً بأنه كان يوجد - وحتي للآن - في مدينة بلبيس بالشرقية، شجرة عتيقة جداً، أستظلت تحتها العائلة المُقدسة (وتسمي بشجرة مريم) ويُجلها المسيحيون والمسلمون أيضاً، ويدفن المسلمون موتاهم الأعزاء حولها، تبركاً بها، وإحتراماً لقدسية هذا الموضع الذي تقدّس بجلوس العائلة المقدسة ((في هذا المكان)) بعض الوقت .

ويروون أيضاً أن عسكر نابليون بونابرت - خلال غزوهم لمصر في أواخر القرن الـ ١٨ - أرادوا أن يقطعوا أجزاء من هذه الشجرة العتيقة، لكي يطهوا بها طعامهم أثناء وجودهم في بلبيس (ويري آخرون أن نابليون كان ينوي نقلها إلي أوربا) ولما ضربوها بالبلطة بدأت «تُدمي» (bleed)، فإرتعب الجند، ولم يقتربوا منها بعد. وفي هذا المكان الآن جامع بإسم ابن الحارث الأنصاري.

✠ ✠ ✠

العبور إلي وسط الدلتا:-

(١٦) بدأت العائلة المقدسة تُغيّر اتجاه طريق سيرها المعتاد، فرجعت حسب ما جاء في السنكسار القبطي والأثيوبي، إلي التوجه من بلبيس - في إتجاه الشمال الغربي - حيث مرت بمدينة «دقادوس» (وهي حالياً قرية بمركز ميت غمر دقهلية)، وجاءت في بعض المخطوطات القبطية «Athokotos» (١٧) وهي تحريف - في الغالب - لكلمة «ثيؤتوكوس» (Theotokos) أي «والدة الإله». ويذكر لنا أميلينو (١٨) أنه كان بها كنيسة قديمة بإسم العذراء والدة الله، وعلي أنقاضها أقيمت الكنيسة الحالية، وأن المصادر العربية القديمة قد ذكرتها هكذا: «تقدوس، دقدوس، ذقادوس» وكانت الي عهد قريب مقر مطارنة القدس في مصر، حيث كانت الشرقية وسيناء تتبع مطرانية القدس.

(17) Manuscr. Coptes de la Bibl. Nat., N. 53, *fol* **174 R**.

(18) I bid.

وتري بعض المصادر أن تغيير العائلة المقدسة خط سيرها المعتاد من الجنوب الي نحو الشمال والغرب (وسط الدلتا) إنما كان بسبب الخوف من رجال هيرودس الذين أرسلهم هذا الطاغية وراء العائلة المقدسة، بعدما عرف بمجيئها إلي مصر. وقد قيل في بعض الروايات أن العائلة المقدسة كانت علي بُعد خطوات منهم في العديد من المناطق، ولكن الله لم يشأ أن يروهم ويمسكوهم.

ويذكر ميمر كل من الأنبا تاوفيلس، والأنبا زخارياس (أسقف سخا) أن العائلة المقدسة تحركت علي طول فرع النيل (البنيتي = الدمياطي) ووصلت إلي مدينة «منية جناح» (التي سُميت فيما بعد منية سمنود، لأنها مقابلة لها علي الشاطيء الغربي).

✣ ✣ ✣

خط سير الرحلة في وسط الدلتا:-

(١٧) وقد عبرت العائلة المقدسة فرع النيل من منية سمنود (دقهلية) إلي مدينة «سمنود» (غربية) ، ويذكر أميلينو[١٩] ـ نقلاً عن مخطوطة قبطية بالفاتيكان[٢٠] ما نصه: «وسار الطفل (أبانوب النهيسي) من قريته ـ عند الظهر ـ حتي وصل إلي «چمنُوتي» (Djemnouti) حيث وجد أن كنائس المدينة قد تحطمت، وأقيمت بدلاً منها معابد وثنية، وفي تجواله (بالمدينة) سمع من يتحدثون (يشهدون) عن السيد المسيح قدام الوالي».

كما جاء ذكر إسم «چمنوتي» Gemnouti القبطي [وفي اليونانية (Cebeoinetou) وفي"السلالم"أي القواميس

(19) Amēlineau, La Geogr. P.140 .

(20) Actes d'Apa Anoub De Naisi, Cod. Copt. Vat., Tom. Lxvi, Fol. 238 R.

(Scalae) القبطية ـ العربية «سمنود»، وهي من أقدم مدن الدلتا] في المخطوطة القبطية الخاصة بسيرة الشهيدين أبادير وأخته إيرائي (Irai) حيث سجلت أن حاكم أنتينوي (بملوى) حاول إغرائه بأن يقيمه والياً «لسمنود» لو بخّر لأوثانه، وهو ما رفضه الشهيد بالطبع، وتمسّك بأمانته حتي نال إكليله مع أخته (٢١).

وقد أشار اليها السنكسار مرات عديدة (٢٢ توت، ٣٠ هاتور ... الخ). وذكر الأسقف القبطي المؤرخ يوحنا النقيوسي ثورتها ضد الوالي فوكاس، وكذلك ما جري من أحداث بها، خلال الغزو العربي لمصر (٦٤١) (٢٢).

ويذكر نيافة الأنبا غريغوريوس (٢٣) أن هناك تقليداً محلياً بأن الكنيسة الحالية ـ التي علي إسم العذراء والشهيد أبانوب

(21) Hyvernat, Actes de Mart. de L'Eglise, P. 105
(22) Jean de Nikiou, chronique, P. 245, 366 .
(٢٣) الدير المحرق، ص ٥٧ .

بسمنود (وقد بُنيت منذ أكثر من ١٢٠ سنة) قد قامت علي أنقاض كنيسة قديمة جداً، حملت إسم أم النور مريم، وكانت في نفس المكان الذي استراحت فيه العائلة المقدسة بالمدينة.

ومن التقاليد القديمة أن البتول مريم قد شاركت في إعداد الخُبز لدي سيدة طيبة من سكانها، وبشفاعتها بارك الرب جداً في خبيزها، بشكل كان يدعو للدهشة. ويُنسب «الماجور» الجرانيتي الموجود حتي الآن بالكنيسة الي هذه القصة، وتوضع فيه المياه بعد التناول من السر الأقدس، لكي يأخذها المصلون والزائرون بركة خاصة لهم.

كما يقول البعض أنه كان عند الشرقية الخاصة بالكنيسة (apse) بئر ماء باركها الطفل الإلهي، وكان الزائرون يشربون من مائها للبركة.

(١٨) بعد سمنود واصلت العائلة المقدسة السير غرباً نحو منطقة براري البُرلّس قرب البحر المتوسط، وكانت هناك مدينة قديمة ذكرتها القواميس القبطية العربية: «البَرَلّس» (Barallous)

أو بارليا في اليونانية. وكان لها أسقف يُدعي «أثناسيوس» حضر مجمع أفسس سنة ٤٣١ [24]، كما يشير السنكسار (يوم ١٩ كيهك) إلي الأنبا يوحنا أسقف مدينة البُرُلُّس (Purollus). ويشير الدكتور الألماني ميناردوس إلي أن هذه المنطقة هي في نفس موضع دير القديسة دميانة بالبراري الآن، حيث أستشهدت هناك مع أربعين عذراء، وبُني دير بإسمها بيد الملكة هيلانة (٣٣٠م) وتم تخريبه، ولكن أعيد تعميره، ولا يزال عامراً بالراهبات.

ثم نزلت العائلة المُقدسة في قرية - بتلك المنطقة الشمالية - وكانت تُعرف بإسم «شجرة التين». وكان سكانها من اليهود قد رفضوا ضيافتها، فسارت إلي قرية «المطلع». وهناك أكرمها الأهالي، كما قدموا لهم طعاماً وشراباً.

وتنبأ يسوع الطفل عن هذه البلدة بأن قال لأمه أنه ستُشيَّد

(24) Amélineau, P. 104.

بها بيعة بإسم رئيس الملائكة ميخائيل. ويُعلق الشماس فائق إدوارد علي هذا الخبر: «بأن الطفل يسوع كان يتكلّم، ومعني ذلك أنه كان يبلغ من العُمر أكثر من عامين» [٢٥]. وهو ما يتوافق تقريباً مع ماسجّله القديس متي الرسول في إنجيله .

(١٩) وكان إقليم «البُرلس» خاضعاً لحكم الوالي **مرقس والد القديسة دميانة** (في أواخر القرن٣)، وأنه قام بتعميدها في دير «**المغطس**»، وكان في منطقة عُرفت بإسم «السباح» وقد قابل أهلها أفراد العائلة المقدسة بالترحاب.

وهناك جلس يسوع علي حجر، وكانت العائلة المقدسة تشعر بعطش، فوضع قدمه المُباركة علي الحجر، وبزغ ماء عذب شربوا منه جميعاً وملأوا قِربَهم، وبقي أثر قدمه مطبوعاً علي الحجر.

وعُرِفَت المنطقة فيما بعد بإسم سخا، «سخايوس» أو كما قال أميلينو «سيخو» (Sykho) ، وسميت خاست في العصر

(٢٥) فائق إدوارد رياض، قديسو سخا، ص ١٠ .

الفرعوني. وفي العصر البطلمي دُعيت «كسيوس» (٢٦). وسميت في القرن ١٢ «السخاوية» وحالياً ضاحية لمدينة كفر الشيخ

وأما أثر القدم المُبارك، فقد تسمّي «بيخا إيسوس» (Bikha Isous) أي «كعب يسوع». وقيل أيضاً أن هذا الحجر كان قاعدة عمود أوقفت عليه أم النور طفلها المبارك فغاصت مشطا قدميه. وكان المسيحيون يأتون من مختلف أنحاء مصر ويضعون مكان القدم زيتاً ويتباركون به، كما ذكره كل من السنكسار القبطي والأثيوبي.

وذكر على مبارك (الخطط التوفيقية = ١٨٨٨) أنه كان بها كنيسة العذراء وكنيسة أخري بإسم أنبا شنودة وتهدمت. وبعد الفتح العربي تم إخفاء هذا الحجر، وتم بناء كنيسة باسم «العذراء» في سخا (ولازالت الكنيسة الحالية تقع في مكانها)،

(26) + Crum. Coptic Dict., Oxford 1962, P. 629.
+ Zoēga, Catal. Cod. Copt., P. 10 .
+ Amelineau, Op. Lit. P. 410.

وبجوارها أقيم «دير المغطس»، وكان عامراً بالرهبان الي نهاية القرن الثاني عشر، وقد ذكره الأنبا زخارياس أسقف سخا (في القرن ٧) فى مخطوطة «ميامر وعجائب العذراء») وقد أشار إليه أيضاً أبو المكارم سعد الله (القرن ١٢)، وفي سيرة القديسة دميانة التي سبق أن نشرناها (والتي ترجع للقرن الرابع).

وقد تم العثور علي الحجر المقدس (وهو من الحجر الجيري ١٠٠x٣٠x٣٠ سم) يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٨٤ بمنزل مجاور للكنيسة أثناء حفر أساساته، وظهرت عليه كتابة من ناحية هكذا: «الله الإبن»، ومن ناحية أخري وُجد عليه أثر قدم لطفل صغير، ولونها غامق عن باقي لون الحجر، وبعد وضعه علي المذبح وصوم وصلاة ثلاثة أيام صعدت منه رائحة بخور زكية، ولا يزال محفوظاً بكنيسة العذراء بسخا [٢٧] حتي الآن.

✠ ✠ ✠

(٢٧) فائق إدوارد، المصدر السابق ص ١١ - ١٤.

الرحلة إلي البرية المصرية (الصحراء الغربية):-

(٢٠) ومن سخا إتجهت العائلة المُقدسة غرباً نحو منطقة دسوق الحالية، حيث عبرت فرع رشيد في مركب، ثم إتجهت الي البرنوج (غرب محافظة البحيرة) ثم إتجهت نحو برية شيهيت (أي ميزان القلوب) كما تسمت الإسقيط (الناسك Scetis)، كما تُسمّى «وادي النطرون» بسبب الملح الموجود هناك بكثرة في الاراضي المنخفضة.

وقد ذكر البابا ثاوفيلس، والأنبا زخارياس أسقف سخا، أن الطفل يسوع قد خاطب أمه البتول وقال: «إعلمي - يا أمي - أنه سيعيش في هذه الصحراء كثير من الرهبان والنُسَّاك، والمجاهدين الروحانيين، وسيخدمون الله (في سيرة طاهرة) كالملائكة»(٢٨).

وتحققت نبوءة الرب يسوع، وامتلأت المنطقة (٦٠ x ١٣ كم) بالأديرة وآلاف الرهبان القديسين، وعلي رأسهم القديس مكاريوس الكبير. ولا يزال بها حالياً أربعة أديرة قبطية عامرة، هي دير الأنبا بيشوي، العذراء (السريان) والبراموس،

(28) Meinardus, in The Steps of The Holy Family,. P. 31 .

وأبو مقار، وأطلال العديد من الأديرة المندثرة، والقلالي الكثيرة.

✥ ✥ ✥

المسيح في القاهرة الكبرى:-

(٢١) سافرت العائلة المقدسة من وادي النطرون جنوباً - عبر طريق مصر إسكندرية الصحراوي الحالي - إلي مقربة من أهرام الجيزة. وسلكت طريق الأهرام الحالي إلي شاطيء النيل بالجيزة، حيث عبرت منها إلي الضفة الغربية للنيل في مركب، واتجهت شرقاً نحو منطقة «عين شمس» (في الكتاب المقدس «مدينة الشمس»)(إش ١٩:١٨، أر ٤٣:١٣) وفي اليونانية «Heliopolis». وهي في موقع مدينة «أون» Ôn الفرعونية القديمة، التي كانت بها جامعة مصرية قديمة، تعلّم فيها موسي النبي وكثير من مشاهير وفلاسفة الإغريق مثل «أفلاطون» وغيره.

+ وقد تزوج القديس يوسف الصدّيق من إبنة كاهنها، كما سجلته التوراة (تك ٤١:٥٠). وكان بها مجموعة كبيرة من اليهود. وكان لهم مجمعهم هناك (Onias Synagogue). وتقع

أطلال هذه المدينة حـــاليـــاً في مكان بحى «المطرية» بالقاهرة(نسبة إلي الشيخ المطراوي)، وكما ذكره الأثري شمبليون (٢٩).

وهو ما تكشف عنه الحفائر التي تظهر هناك بإستمرار. ووصفها أميلينو - في أواخر القرن التاسع عشر - بأنها كانت قرية صغيرة. وكان بها بعض اليهود وكان لهم مجمعهم (Onias) كما أشار لورود إسمها في السنكسار القبطي والإثيوبي أيضاً (٢٤ بشنس) في إشارة إلي شجرة مريم، حيث تذكر التقاليد أن الطفل يسوع أنبع عين ماء، وشرب منها، وإستحم، وغسلت أم النور ملابسه الطاهرة، وسكبت ماء الغسيل هناك، فنبتت شجرة ذات ثمار عطرية لعمل الميرون (البلسم - البلسان) وقيل إن يسوع أخذ عصا القديس يوسف رغزسها فنمت شجرة، ولازالت موجودة هناك حتي الآن وقد أقيمت بجوارها كنيسة حديثة، بإسم القديسة مريم، وكنيسة أخري بإسم القديس مارجرجس، وعلي مسافة غير بعيدة كنيسة بإسم «الملاك والروماني».

(29) Champollion, L'Egypte Sous Les Pharaons, Tom. II, P. 40., & Amélineau, P. 246 .
+ Meinardus, Op. Cit. P. 36 - 39 .

وقيل أن يسوع قال للقديسة مريم «أن من هذا البلسم سيأخذ المسيحيون زيتاً لتعميد أطفالهم بإسم الآب والإبن والروح القدس» وهناك تقليد قديم آخر (in Enfancy Gospel) أنه عندما غسلت أم النور ملابس الطفل يسوع أخذها ولد ووضعها علي رأسه، فخرج الروح النجس من فمه علي شكل غربان وثعابين وهرب. وبذلك تم شفاء هذا الصبي بمعونة يسوع. وبدأ يمتدح الله ويشكره علي خلاصه من عدو الخير.

ويذكر ميناردوس أن كثير من الحجاج الأوربيين في العصور الوسطي يسجلون زيارتهم لشجرة المطرية ومنهم المدعو Burchard (١٢٨٥) الذي أخذ من البلسم واستحم في البئر الموجودة بالحديقة. وكان يؤخذ البلسم من ثمر الشجرة أو من غلّي أوراقها.

(٢٢) وفي الطريق من عين شمس إلي منطقة مصر القديمة (بابليون) مرّت العائلة المقدسة بعدة أماكن استراحت بها، وخلدتها آثار قبطية، لازالت موجودة، ومنها منطقة حدائق «الزيتون» حيث توجد عدة كنائس بها، وأشهرها كنيسة العذراء، التي تجلت «أم النور» فوق قبابها إبتداءً من يوم ٢

أبريل سنة ١٩٦٨. وإستمرت الظهورات عدة أشهر متوالية، وسُجلت المعجزات والظواهر الروحية، ونقلتها وكالات الأنباء العالمية والمحلية، وصدر بها تقرير رسمي من الكنيسة القبطية. وقد شاهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تجلي أم النور في المنطقة، ووافق علي تحويل جراج هيئة النقل العام إلي كاتدرائية. وهي تقف الآن شامخة، أمام كنيسة التجلي الصغيرة، تشهد بالمعجزات الكثيرة، التي حدثت للعديد من أفراد الأديان المختلفة والأجناس والطوائف والشعوب المصرية والأجنبية التي ذهبت إلي هناك.

(٢٣) ثم استراحت العائلة المُقدسة ـ وهي في طريقها إلي بابليون ـ في منطقة حارة زويلة بالغورية قُرب الأزهر. وشُيدت كنيسة العذراء بها، منذ القرن الرابع الميلادي، وبها بئر قديمة ساد الاعتقاد بأن ماءها يشفي المرضي. وبجوارها كنائس مارجرجس، ومرقوريوس (التي بناها إبراهيم الجوهري)، وديران للراهبات حملا إسمي العذراء ومارجرجس، ولا يزالان عامران بالراهبات القديسات.

(٢٤) وفي الطريق لمصر القديمة استراحت العائلة المُقدسة

في المنطقة التي تقع خلف الكنيسة المرقسية القديمة (بكلوت بك بالقاهرة) حيث يقع الآن مقر «دير السريان» العامر (العزباوية) ونجد هناك بئراً موجودة للآن، قيل إن العائلة المقدسة شربت منها فتباركت مياهها.

(٢٥) وإستمرت العائلة المقدسة في السير جنوباً، حيث نجد الآن كنيسة مارمينا القديمة (بحي السيدة زينب، وأبو الريش) وبجوارها كنيسة مارجرجس والشهيد بشنونة وهي حديثة البناء.

(٢٦) ثم نجد مجموعة كنائس شمال حصن بابليون (محطة مترو الملك الصالح) وتشمل ثلاثة كنائس هي: كنيسة أبي سيفين (مرقوريوس) وترجع إلي القرن الرابع، وكنيسة أنبا شنودة رئيس المتوحدين (أواخر القرن الخامس)، وكنيسة العذراء «الدمشيرية» (القرن ٧ م) وهذا الإسم يشير إلي أحد أعيان أقباط دمشير (بالمنيا) الذي قام بترميمها في القرن ١٨.

(٢٧) ثم إتجهت العائلة المقدسة إلي منطقة حصن «بابليون» (مصر القديمة) (Old Cairo). وقد إختلفت الآراء

في تسمية هذا الحصن بهذا الإسم. فيذكر المؤرخ الروماني إسترابون وكذلك المؤرخ الأسقف القبطي يوحنا النقيوسي (القرن ٧ م) إن الأمبراطور الروماني تراچان (Trajan) هو الذي بني مدينة رومانية في هذا الموقع الذي يقع بين تلال المقطم ونهر النيل، وشيد الحصن لحماية البلاد (في هذا المكان الإستيراتيجي) وأنه كان يقام قبله حصن أقدم، شيدهُ الملك نبوخذ نصر – في نفس الموقع ـ ودعاه حصن «بابليون» (٣٠) وهو ما يشكك أميلينو في صحته (٣١).

كما روي المؤرخ الروماني ديؤدور الصِّقلي أن بعض أسري البابليين، الذين أسرهم رمسيس الثاني قد سكنوا بقلعة «هابنين» علي شاطيء النيل شرقاً (وكان يصل النهر إلي قُرب هذه المنطقة قديماً قبل ابتعاده تدريجياً غرباً، كما هي الحال عليه الآن)، بسبب دوران الأرض وعوامل النحر والترسيب، أمام مدينة منف بالجيزة شرقاً). ثم استقر هؤلاء البابليون حول الحصن وبنوا مدينة «بابليون» نسبة للعاصمة العراقية «بابل».

(30) Chronique de Jean de Nikiou, P. 413 .

(31) Amélineau, Op. Cit. P. 75 .

وثمة رأي ثالث بأن كهنة مصر القديمة كانوا يأخذون «العجل أبيس» من منف إلي مدينة أون (عين شمس) وكانوا يستريحون في منطقة الحصن فسُمِّي المكان بالقبطية «بي أبين أون» (مقام أبيس الي أون» وحرّفه الإغريق إلي «بابليون»، وفي القواميس القبطية (Scala) ألحقت بابليون بمدينة أون، كما تسمت مدينة «مصر» أو «بابليون مصر» (Babylon Inté Kimi) (٣٢).

وتذكر بعض المصادر أنه كان هناك معبد يهودي شُيد سنة ١٦٠ ق.م، في مكان المجمع اليهودي الحالي (بن عزرا) الذي بني نحو عام ١١٥٠م علي أنقاض المعبد السابق (٣٣) كما قيل إن «إرميا» النبي وعظ يهود تلك المنطقة، عندما حّل ضيفاً علي مصر. ، والواقع أن المعبد اليهودي الحالي كان في الأصل كنيسة قبطية تحمل إسم الملاك ميخائيل، وقد إضطّر

(32) Amélineou, P. 75. & Ms. Copt. In Bibj. Nat., N. 42, fol. 59 R.

(٣٣) القس منسي يوحنا، تاريخ الكنيسة ص ٤ ، سليم سليمان، تاريخ الأمة القبطية ص ٢٦٧، ٢٦٨، نيافة الأنبا غريغوريوس، الدير المحرق ص ٦٤

البابا ميخائيل الثالث (البطريرك ٥٦) أن يبيعها لليهود، حتي يتمكن من تسدّيد الضرائب الباهظة، التي فرضها الحاكم ابن طولون علي الكنيسة المصرية.

وقد إختبأت العائلة المقدسة في «مغارة» (كهف) مستطيلة (٢٠ x ١٥ قدم) بمنطقة بابليون، وتوجد حالياً شمال هيكل كنيسة القديس سرجيوس (وهي من العصر الرسولي، وقد رممها - مع كنيسة القديسة بربارة المجاورة-الأرخُن القبطي يوحنا بن الأبح، كاتم سر الخليفة الفاطمي المستنصر سنة ١٠٧٣ م).

وتوجد في المنطقة كنيسة العذراء المُسماة «بالمُعلّقة» لأنها بُنيت علي أعمدة حصن بابليون القديم، وبجوارها كنيسة أبي سرجة (الشهيد سرجيوس) وكنيسة بربارة وكنيسة قصرية الريحان التي إحترقت منذ سنوات قليلة، ولم يتم ترميمها للآن للأسف. وكذلك توجد كنيسة قبطية أخري بإسم الشهيد مارجرجس وكنيسة للروم الارثوذكس لنفس القديس، ودير للراهبات القبطيات بإسم القديس أيضاً (محطة مترو مارجرجس بمصر القديمة). وبجوارهم يقع المتحف القبطي.

وكانت تلك المنطقة مقراً لبطاركة الكنيسة المرقسية بعد نقله

من الإسكندرية إلي الفسطاط (مصر القديمة)، وكان الشعب القبطي يجتمع مع أساقفته بكنيسة أبي سرجة، لإنتخاب البطريرك الجديد [٣٤].

ويروي الأسقف يوحنا النقيوسي أن الحاكم البيزنطي والمغتصب لمنصب البطريرك القبطي (الأنبا بنيامين ٣٨) والذي دُعي قيرش Sirus (وفي المصادر العربية المقوقس كبير القبط، وهو خطأ بالطبع) . كان يقيم بالحصن، لما حاصره عمر بن العاص وجنوده، وإضطره للتسليم، بعد إقتحام أسوار الحصن أثناء صلوات الجمعة الحزينة (٦٤٠م) في كنائس المنطقة (والتي يتبقي منها غير ما سبق ذكره دير الأمير تادرس وهو جنوب حصن بابليون حالياً. ويشمل كنائس ثلاثة هي العذراء بأبلوّن الدَرَج، وكنيسة القديسين أباكير ويوحنا، وكنيسة الأمير تادرس)، وإلي الجنوب منه - ببضع خطوات - يقع دير الملاك القبلي، وهو دير قديم (ويقال أنه تم نقل جبل المقطم في مكانه، في عهد البابا إبرآم بن زرعة في أيام الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، كما رواه الأسقف ساويرس أسقف الأشمونين، في القرن العاشر، في كتابه تاريخ البطاركة) .

(34) Amélineau, La Via de Patriarche Isaac, P. 45.

كما توجد كنيسة حديثة (بجوار محطة مترو الزهراء بمصر القديمة) وقد بناها قداسة البابا كيرلس السادس سنة ١٩٤٨ بعدما ترك الطاحونة (علي تل جبل المقطم) في الحرب العالمية الثانية (بعدما إستقر بعض الوقت في دير الأمير تادرس، ودير الملاك القبلي). ويوجد بالطابق الثاني بالدير الأخير حجرة كان يقيم بها قداسته. وبها المقعد الذي كان يرقد عليه بجوار كنيسة عُليا بإسم القديس مارجرجس).

هذا ويري نيافة الأنبا غريغوريوس [٣٥] أن العائلة المقدسة قد بقيت أياماً معدودة في بابليون - لا تزيد عن أسبوع واحد فقط - لأن الأوثان الموجودة قد تحطمت أمام جلال الرب يسوع، وهربت منها شياطينها، مما أثار غيظ الكهنة، وقرروا قتل الطفل الإلهي، لأنهم تحققوا أنه هو السبب في تحطيم أصنامهم وضياع مصدر رزقهم. فأسرعت العائلة المقدسة بالهرب نحو العاصمة المصرية القديمة «منف» (بالجيزة).

✣ ✣ ✣

---

(٣٥) الدير المحرق ص ٦٥ .

خط سير الرحلة المباركة إلي صعيد مصر:-

(٢٨) سارت العائلة المقدسة من منطقة مصر القديمة إلي منطقة المعادي الحالية، ومن هناك عبرت بالقارب المخصص للعبور إلي الجيزة، وفي هذا المكان شُيدَّت كنيسة باسم العذراء (العدوية) وقيل أن إسم «المعادي» مشتق من المعدية (العبور للضفة الشرقية للنيل عند منف) ولا تزال تعمل حتي الآن هناك، وتوصِّل إلي الشاطيء المقابل (بالجيزة) عند قرية «منيل شيحة» حيث نجد دير القديسين قزمان ودميان، ودير أبي سيفين بطموه (قرب النيل) وهما ديران قديمان يرجعان إلي عصور المسيحية الأولي، ولا يزالان موجودان. وتقام بهما القداسات والاجتمعات والخلوات الروحية.

وقد قيل إنه كان هناك مجمعاً يهودياً في نفس المكان الموجود به كنيسة العذراء بالمعادي وأن العائلة المقدسة قصدت زيارته، وأن القديس يوسف تعرّف علي بحارة مركب مسافرة للصعيد، وإتفق معهم علي أجرة السفر. وقال أحد آباء دير المحرق أنه كان يمكن توفير هذه النفقات من كنز هدية المجوس.

ويذكر أبو المكارم أن الأقباط أنشأوا كنيسة في نفس

الموقع، دعيت باسم "Martuti" (Meter Theou) (أي أم الله)، وذكرها المؤرخ والجغرافي العربي الأدريسي.

ومن الجدير بالذكر أن شعب وزوار كنيسة العذراء بالمعادي (بكورنيش النيل) قد شاهدوا - صباح الجمعة ١٢ مارس سنة ١٩٧٦ - كتاباً مقدساً - من الحجم الكبير - طافياً علي سطح النيل، ومفتوحاً علي سفر أشعياء النبي، وبالذات علي الآية التي تقول: «مُبارك شعبي مصر» (أش ١٩:٢٥). وقد شاهد كاتب هذه السطور الكتاب المذكور في حينه، وقد تركت مياه النيل أثراً علي نفس الصفحة فظهر فيه منظر البتول أم النور وهي تحمل إبنها يسوع، وهي علي الأتان.ويُعرَض هذا الكتاب المُقدس الآن في حجرة خاصة بالكنيسة المذكورة.

(٢٩) أما مدينة «منف» Memphi (وفي اليونانية ممفيس Memphis) فهي العاصمة المصرية القديمة، وقد شغلت مساحة كبيرة من البدرشين والحوامدية وأم خنان وميت شماس حتي طموه جنوباً وميت رهينة شرقاً. وقد ورد إسمها في العهد القديم من الكتاب المُقدس بإسم «نوف» (إشعياء ١٩:١٣، إرميا ٢:١٦، حزقيال ٣٠:١٣) وبالهيروغليفية «من - نفر»

(الميناء الجميل)، وكانت أسقفية قديمة كما قال زويجا Zöega ولها كثير من الأساقفة الأقباط، وكثير من الشهداء والقديسين المشهورين مثل القديس أنبا پولا الطموهي... الخ. كما يوجد دير الأنبا أرميا بسقارة وأشار اليه يوحنا النقيوسي والبابا ثاوفيلس. وتوجد أجزاء من أثاره المقدسة بالمتحف القبطي {وهو يقع الآن بجوار حصن بابليون (بمصر القديمة). وبه كنوز قبطية عظيمة جداً}.

وقد أشار كل من أميلينو، وإيڤرنات الفرنسي (Hyvernat) (في كتابه عن شهداء الأقباط) وخاصة في سيرة القديسين الشهيدين أبادير وإيرائي، أنهما «جاءا من إنطاكية إلي الاسكندرية ثم إلي بابليون ووصلا إلي طموه بمنف (Tammoau de Memphis) ... الخ». وقد إنحدرت منف في العصر العربي (وتهدمت الكثير من آثارها الفرعونية والقبطية الكثيرة). وواصلت العائلة المقدسة سيرها جنوباً.

ويشير المقريزي (١٤٤١م) إلي وجود نخلة في مدينة إهناسيا (في بني سويف) Herakleopolis توقفت عندها العائلة المقدسة، وهي في رأيه النخلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (سورة مريم).

كمـا توقـفت العـائلة المقدسـة في إشنين النصـاري (٦ ك . م جنوب غـرب مـغـاغـة) حيث توجد بئـر أسـفل مـعـمـودية كنيـسـة مارجرجس. وهي باقية من آثار العائلة المقدسة.

(٣٠) وسـافـرت العـائلة المقـدسـة بالنيل في إتجاه جنوب الصـعـيـد إلي مـدينة «البهنسا» وأقـامت شـرقـهـا. وفي الهيروغليفية دعيت Pa - Madjat (بلد الإله مز) وفي القبطية «Pemdjé» كما قال أميلينو، الذي أشار الي أنها مدينة قبطية شهيرة، وقد وردت ضمن كثير من المخطوطات القبطية التي تتحدث عن سير القديسين،والموجودة بمكتبة الفاتيكان [٣٦] وجدت بها أقوال نُسبت للسيد المسيح.

وقد ورت بإسم «البهنسا» في القواميس القبطية العربية (وفي اليـونانيـة Oxyrynchus)، كـمـا تسـمت أيضـاً «إبآي إيسوس» في القبطية (أي بيت يسوع) وأشتهرت بأنها أسقفية كبيرة، ومن أساقفتها «أنبا بطرس» الذي حضر مجمع أفسس

(36) Codex Vat. Copt., Lxvi, Fol. 101 - 102, Les Actes de Pankoleus, Amélineau, pp. 91 - 92, 27 - 250 .

ســنــة ٤٣١ (٣٧)، وسـجلت المخطوطات أسـمـاء كـثـيـرين استشهدوا في أيام دقلديانوس بها .

وقـيـل أنه كـان بهـا نحـو ٣٠,٠٠٠ راهب وراهبـة في أديرتهـا، ٣٦٠ كنيسـة. وخُرِّبت كلها ما عـدا كنيسـة واحـدة ذكـرها المؤرخ العـربي المقـريزي (١٤٤١م) وقـال إنهـا بإسم «العذراء مريم». وشُيدِّت محلها كنيسة حديثة سنة ١٩٢٣ بإسم مارجرجس .

(٣١) وقـد أقـامت العـائلة المقدسـة بالبـهنسـا أربعـة أيام فقط، طبقاً لرواية أسقف قبطي للبهنسا يُدعي «قرياقص» في عظة مسجلة في بردية قبطية، وفي ميـامر البابا تيموثاوس الأسكندري عـن الرحلة التـاريخيـة للعائلة المُقدسـة، وأشـارت تلك المصادر، أن الطفل الإلهي يسوع أجري بها عدة معجزات باهرة (٣٨) .

---

(37) Bib. Nat.,Fragm. Théb., aprés Amélinean, P. 91.
+ Labbe, Concilia, Tom. 111, Col. 1084 .
+ Hyvernat, Les Actes des mart. de L'Egypte,P. 94.

(٣٨) العلاّمة الهولندي يعقوب مويزر، المصدر السابق ص ٢٣٦، ميـامر البـابا تيمـوثاوس الاسكندري، ص ٨٦ - ٨٨ عن نيـافـة الأنبـا غريغوريوس، الدير المحرق، ص ٩٦ .

ويذكر كاتب عربي (٦٧٦ م) نقلاً عن مخطوطة قديمة [Gospel of Thomas (140 A.D.)] أن يسوع الطفل مضي إلي مدرسة فسأله مُدرِسّها إن كان يعرف الحروف الأبجدية، فقام يسوع بإعطائه أمثلة بقوله: «إن الأليف Aliph تعني أعمال الله الصالحة... الخ». فقال المعلم لأم النور: «خذي طفلكِ هذا فهو مملوء بالحكمة، ولا يحتاج إلي تعليم».

كما ينقل كاتب آخر، قصة سُكني العائلة المقدسة في نزْل للفقراء (Hospice) كان يُنفق عليه رجل غني سُمي «diqhan» وأنه قد تمت سرقة ماله من منزله، فحزنت أم النور. فسألها يسوع إذا كانت تريد أن تعرف موضع المال المسروق؟! فأجابت بالإيجاب. فاقترب من الجمع ووجد أثنين أحدهما كفيف والثاني أعرج، فقال يسوع للأعمي «قم» فلم يقم. فقال له يسوع «كيف إستطعت السرقة؟!» وعرف الناس السارق واستردّ الغَني كل ماله منه.

(٣٢) وأسرعت العائلة المقدسة بالسفر جنوباً بالبرّ نحو قرية «دير الجرنوس» (غرب مغاغة بالمنيا)، وبها كنيسة ترجع إلي القرن ١٩ م، وبجوار حائطها الغربي توجد بئر مياه عذبة، قيل أن الأسرة المباركة قد شربت منها .

ويذكر ميناردوس أن الرحالة «Maillet» (١٧٠٣) قد ذكر أن أسقف المنطقة كان يقيم قداساً بوضع لوح مقدس فوق البئر، وكان يدلي به حبل لمعرفة مدي إرتفاع المياه التي ستأتي مع الفيضان في نفس العام، ولا تزال البئر موجودة في كنيسة بإسم العذراء أعيد بناؤها سنة ١٨٧٠م، ويقول أيضاً أنه أثناء الاحتفال بمولد العذراء بالبلدة (١ - ١٥ مسري) لا تستطيع حشرة (كالعقرب) أن تلدغ أحداً من الزوار.

(٣٣) ثم سافرت العائلة المقدسة في النيل، وتوقفت عند الشاطيء (شرق سمالوط) حيث توجد منطقة «جبل الطير»، ويعلل نيافة الأنبا غريغوريوس هذه التسمية بأنه كان يجتمع هناك العديد من طائر البوقيرس الأبيض أو Pelican (٣٩) «طبقاً لما رواه المقريزي».

ويذكر المؤرخ القبطي أبو المكارم سعد الله (القرن ١٢ م) (٤٠) أنه كان (بالقرب من سمالوط) صخرة كبيرة علي

---

(٣٩) نيافة الأنبا غريغوريوس، الدير المحرق ص ٦٩، والخطط-للمقريزي جـ ٤ ص ٤١٢ - ٤١٣.

(٤٠) أبو المكارم، كتاب كنائس مصر وأديرتها (المنسوب خطأ لأبي صالح الأرمني) طبعة أكسفورد ص ١٠٠.

الجبل الشرقي كادت أن تسقط علي العائلة المقدسة خلال رحلتها في النيل، فمد الرب يسوع يده، ومنع تلك الصخرة من السقوط، وتوقفت مكانها علي شاطيء النيل الشرقي، وأنطبع عليها «كف» يسوع، ولهذا عُرفت تلك المنطقة في التاريخ بإسم «جبل الكف» كما ذكره الأنبا ثاوفيلس (البابا ٢٣) في ميمره السابق الاشارة اليه.(٤١) وتذكر بعض الكتب أن الملك الصليبي (Almeric) قطع الصخرة التي بها الكف، وأخذها معه إلي سوريا سنة ١١٦٨م .

كما روي الأنبا زخارياس أسقف سخا ـ في ميمره عن العائلة المقدسة – أن الملكة «هيلانة» قامت بإنشاء كنيسة، نُحتت في صخر هذا المكان الجبلي، المرتفع قليلاً عن سطح الأرض (في أوائل القرن ٤ م) عُرفت باسم «**كنيسة سيدة الكف**». وكان يتم صعود الزوار اليها عن طريق صندوق خشبي كبير، به حبل مُركّب علي بكرة. وكان يجذبه رجال موجودون بأعلي الدير، ولهذا تسمّي أيضاً بدير «**البكرة**»، (وفي القرن الثالث عشر تم

(٤١) مخطوطة رقم ١٤/٩، بدير المحرق.
Meinardus, The Holy Family in Egypt, P. 490.

عمل ١٦٦ درجة حجرية للصعود للدير).وتتم زيارته بأعداد غفيرة الآن خلال الإحتفالات بأعياد العذراء الطاهرة.

وقد ذكرت إحدي المخطوطات أن العذراء طلبت من فلاح فقير خبزاً فأخذ العائلة المقدسة وأكرمها في بيته وأعلن لهم عن خوفه من ساحرة تقيم علي الشاطيء الشرقي للنيل. ولما عبرت النيل معه إلي هناك، عرفت الساحرة بالأمر. ولما واجهت الطفل الإلهي فقدت سحرها وسقطت في النيل وماتت!

+ + +

العائلة المقدسة في الأشمونين:

(٣٤) وسافرت العائلة المُقدسة في النيل إلي مدينة الأشمونين مركز ملوي، وكانت تُسمي بالهيروغليفية « خمنو» أي ثمانية (آلهة)، وبالقبطية «شمونين» أو شمون/٢ (Shmonein, Shmoun B̄) وذلك لأن المدينة القديمة قد إندثرت وحلت محلها مدينة أخري بنفس الإسم [٤٢] ، وسُميّت في العصر البطلمي «Hermopolis Magna». ومن أشهر أساقفتها أنبا ساويروس (ابن المقفع) في القرن ١٠ م.

(42) Crum, A Coptic Dict., Oxford 1939, P. 566.

ويشير الأسقف المؤرخ بلاديوس (أواخر القرن ٤ م) إلى زيارته لها، وأنه رأى أوثانها محطمة، إتماماً لنبوءة أشعياء النبي (١٩: ١)[٤٣]. ويروي ميمر كل من البابا ثاوفيلس، والأنبا زخارياس أسقف سخا، أن العائلة المقدسة مكثت بها عدة أيام، حيث أكرمهم رجل من أهلها يُدعي «قلوم» واحتمل من أجلهم متاعب كثيرة - كما سيأتي تفصيلياً بعد قليل - ونال بَركَة الرب يسوع، وقيل أنه آواهم سراً في بيته وقتاً طويلاً.

وقد أجري الطفل الإلهي معجزات كثيرة في الأشمونين، منها أن تمثالاً نحاسياً - على شكل حصان - سقط وتحطم عند مدخل المدينة، بسبب جلال الرب. وأنه كان هناك شجرة لبخ (أو «غار» في رأي الكاتب الفرنسي جوليان)[٤٤]، كان يسكنها شيطان، وكان يتعبّد لها الوثنيون، فلما إجتازت العائلة المقدسة أمامها إنحنت جداً نحو الأرض، كأنها تسجد لخالقها (وهو درس لكل من كان يعبدها). وصارت لأوراقها قوة شفاء الأمراض، ببَرَكَة الرب يسوع لها.

(43) Palladius, The Paradise, Vol. I, P. 304 .
(44) Juillien, L'Egypte, Op. Cit. P. 304 .

وقد سجّل المؤرخ البيزنطي سوزومين Sozomen - في تاريخه الكنسي -(٤٥) ما سمعه من سكان المدينة، خلال زيارته لها (في أوائل القرن ٥ م) عن الأشفية، وخاصة تلك التي تمت لبعض الناس الذين إلتقي بهم في فلسطين، لإستخدام لحاء وثمار وأوراق تلك الشجرة، التي باركها يسوع له المجد، ووعد بأن لا تقترب منها أية ديدان .

ويذكر أبو المكارم أنه كان في فناء كنيسة العذراء بالأشمونين شجرة سورية الأصل وكانت ثمارها تسمي Sebastan (حمراء اللون) وأنها إنحنت لما إقترب منها يسوع، وأن حاكمها أراد قطعها، ولكن البابا أغاثون الأسكندري الـ ٣٩ (٦٥٨ ٦٧٧) وقف أسفلها. وأنه عندما تقدم شخص ليقطعها بالبلطة قفزت في وجهه، فتركها الحاكم ولم يتم قطعها في حينه. وقد تأيدت هذه الروايات بما عثرت عليه بعثة أثرية فرنسية من مخطوطات بالأشمونين (١٨٨٧م) توضح أن «السيد المسيح أقام موتي، وجعل العُرج يمشون، والصُم يسمعون، والخُرس يتكلمون، والبُرّص يطهَرون...» (٤٦) وذكر ميناردوس أن

(45) Sozomen, Eccles. History, V, 21., Meinardus, **Op. Cit P. 50** .

(46) Mission Arch. Fran., au Caire, Tom. 17. Paris 1888, P. 80, quoted by Amélineau, Op. Cit. P 141.

خمسة جمال سدت الطريق في السوق امام العائلة المقدسة، ونظر اليها يسوع فتحولت إلي أجسام متجمدة كالأحجار.

✠ ✠ ✠

موجز سيرة الشهيد ودامون الأرمنتي:-

(٣٥) وردت هذه القصة في السنكسار القبطي (١٨ مسري) وملخصها أن الشاب "دامون" سمع من أهل مدينته (أرمنت) بمعجزات الطفل العجيب يسوع «في الأشمونين» فأسرع اليه، والتقي به في بيت «قلوم»، بتدبير إلهي حسب قلبه. فلما رآه الطفل الإلهي، تبسّم في وجهه، وقال له: «السلام لك يا ودامون» ثم أضاف قائلاً: «لقد تعبّت كثيراً فى السفر والمجيء إلي ههنا، للتحقّق مما سمعته من ضيوفك في بيتك، لذلك سأقيم عندك مسكناً لي إلي الأبد».

فإندهش مما سمع، وقال ليسوع: «يا سيدي، إنني أشتهي - من كل قلبي - أن تأتي إليَّ، وتسكن في بيتي المتواضع، وأكون خادماً لك إلي الأبد».

ثم تنبأ له الصبي الإلهي بأن كهنة الأوثان سيغتاظون منه،

وسوف يسفكون دمه، ووعده بعدم الخوف من الموت من أجله، وقال له: «ونظراً لأنك آمنت بي فلا تجزع، لأني أقبلك عندي ـ في ملكوت السماوات ـ لتعيش إلى الأبد».

ثم أضاف يسوع قائلاً: «سوف أُدخلك الفردوس، عندما آتي وآخذ الآباء من الهاوية (الجحيم السُفلي) وأذهب بهم إلي هذا الموضع الجميل (في إنتظار يوم الدينونة والملكوت الأبدي)، وهو مكان الفرح الأبدي، الذي ليس له إنقضاء، وأنت تكون أول شهيد في بلاد الصعيد».

وآمن ودامون بإبن الله الفادي، ونال بركته، ومضي إلي بلدته، حيث سمع عابدو الأوثان بأنه أحب المسيح أكثر من آلهتهم الحجرية. ولما سأله كهنة الأوثان ـ بأرمنت ـ عن إيمانه، أقرّ به، فاغتاظوا وطعنوه بسيوفهم عدة طعنات، حتي تمزق جسده، ومات شهيداً علي إسم المسيح. وكان أول شهيد مسيحي في العالم (قبل الشهيد الشماس أسطفانوس، والشهيد الرسول يعقوب، بالطبع).

وفي القرن الثالث بُنيت كنيسة علي إسمه بضواحي أرمنت، ولا يزال هناك مذبح بإسم «ودامون» بكنيسة العذراء بدير

الراهبات بأرمنت الحيط. حقا إن « ذِكْر الصِّدّيق يدوم إلي الأبد » (مز ١١٢:٦).

(٣٦) ثم سافرت العائلة المقدسة من الأشمونين إلي (ملوي) Manlau بعدما أعطي الرب يسوع البَرَكَة «لقلوم» Klom الذي آواهم عنده، وحفظهم من أذي الأشرار هناك.

وبعد أيام قليلة إتجهت جنوباً حيث وصلت إلي قرية «فيليس» Philes أو Kenis (ديروط الشريف حالياً)، وإستراح بها يسوع مع أمه والقديس يوسف النجار وسالومي، عدة أيام. ووجدوا مساعدة من أهلها. وقد أجرّي الرب يسوع عدة معجزات، وهناك شفي كثيرين.

وقيل أن نجاراً كان هناك وقد دُعي Dianos عرف يوسف النجار حيث سبق أن إلتقي به أورشليم، وكان له ابن به روح نجس، طرحه علي الأرض وقال «ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ لقد جئت وراءنا لتعذبنا هنا، بعدما تركنا لك أورشليم». فأمره يسوع أن يخرس ويخرج منه..فآمن به كثير من الحاضرين، وتحطمت أصنام كثيرة هناك،وسافروا من pelpeu (ببلاو الحالية) إلي صَنبو، وكانت أسقفية قبطية ولها دير، ولكنه

هُجر في القرن الـ ١٥ م، وقد قيل (Infancy Gospel) أن العائلة المقدسة قابلت "عُرساً"، ولكن أهل العروس كانوا حزاني لأن الشيطان أمسك لسانها، فلما دخلت أم النور الي العرس، حملت العروس الطفل يسوع فانفلتت عقدة لسانها، وسبّحت الله.

+++

ثم اتجهوا جنوباً نحو مدينة القُوصية، «والقوصية» مشتقة من العبارة الهيروغليفية «Kockou» (أي مقبرة البقرة حاتحور المقدسة لدي قُدماء المصريين وترمز عندهم للإلهة إيزيس) (٤٧).

وعندما وصل يسوع إلي بوابة المدينة، سقط صنم ضخم وتحطم أمام هيبة الرب يسوع، وهددت الشياطين التي كانت في الوثن المُحطّم كهنة المعبد قائلين: «لا تدعو المرأة والطفل والشيخ يدخلون المدينة» لأنهم سيقضون علي خدمتكم،وسنترك المدينة».

ولهذا خرجوا بعصي وفؤوس ليضربوا بها الأسرة المُقدسة، ولعن يسوع المدينة حتي صارت جدباء، ثم توجهت العائلة المقدسة. إلي قرية «ميرة» (مير الحالية). ويرجح نيافة الأنبا

(٤٧) إقلاديوس لبيب، القاموس القبطي العربي، جـ ١ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤

غريغوريوس أن المدينة التي رفضت العائلة المقدسة ليست هي القوصية الحالية، وإنما كانت بلدة قديمة أخري، كانت بقربها، وصارت خراباً (لفقدانها بركة العائلة المقدسة) (٤٨).

(٣٧) أما «مير» التي وصلت اليها العائلة المقدسة (٧ كيلو مترات إلي الغرب من القوصية) فقد أكرم أهلها الرب يسوع وصحابته الأطهار، فباركها الله إلي الآن، ويُضرَب بأرضها المثل في الخصب، وكثرة الإنتاج الزراعي (ولا يزالون يقولون «الفَقري فقري، ولو زرَع في مير»).

✥ ✥ ✥

العائلة المقدسة في جبل قُسّقام (الدير المحرّق):

(٣٨) ومن مير صعدت العائلة المقدسة إلي جبل «قسقام» (بالبرية الغربية). وقد ورد هذا الإسم (Qosqam) في العديد من المخطوطات القبطية والقواميس القبطية العربية والسنكسار، حيث تسمّي أيضاً: «دير المُحَرّق» أو دير العذراء (٤٩)، كما رواه أميلينو (٥٠).

(٤٨) نيافة الأنبا غريغوريوس ، الدير المحرق ، ص ٧٥ .
(٤٩) السنكسار القبطى (٨ هاتور ، ٢٠ كيهك).
(50) Amélineau, P. 397.

ويشير شامبليون (٥١) إلي وجود مدينتين: قوسقام (Koc-Kam) والقوصية (Qousieh) بينما يري الأثري كاترمير أنهما مدينة واحدة، علي ضوء ما اطلع عليه من مخطوطات قبطية بالمكتبة الوطنية الفرنسية (٥٢)، وأن أسقف القوصية كان في نفس الوقت أسقفاً للدير المحرّق (قسقام)، وأن الرحّالة الكاثوليكي "ڤانسليب"قد ذكر أن المدينة الأخيرة كانت خربة خلال زيارته للدير سنة ١٦٦٤م (٥٣).

وفوق جبل قسقام بني القديس «يوسف» النجار بيتاً من الطوب من طابقين، وغطي سقفه بزعف النخيل، ويروي أبو صالح الأرمني في تاريخه (٥٤). أن السيد المسيح نفخ في حائط الغرفة العُلّيا، فأنفتحت بها طاقة للتهوية، وأضاف بأنه قد جرت بيد الطفل الإلهي معجزات شفاء كثيرة لأهل المنطقة الودعاء، الذين كانوا يترددون عليه لتخفيف آلامهم، كما قال

---

(51) Champollion, L'Egypte Sous les Pharaons, tom. I, PP. 273 - 74 .

(52) Quatremère, Memoires Geogr. et Hist. Sur L'Egypte, Tom. I, pp. 189 . 92, & Amélineau, p. 398.

(53) Vansleb, Histoire, Op. cit. P. 22.

(٥٤) ترجمة Evetts، أكسفورد ١٨٩٥، (B) Fol. 78 .

أيضاً [٥٥] أنه كان في مقابل المغارة (التي صارت كنيسة فيما بعد) بئر ماء عذب، باركها يسوع ـ له المجد ـ لما شرب منها، وصارت بركة لكل من يشرب أو يغتسل بمائها.

كما يشير نفس المؤرخ إلي أنه كان هناك حوض مياه ملأه الطفل يسوع بالماء.فتحولّ إلي خمر (صالحة للشُرب بدون سُكْر) كما فعل الفادي فيما بعد في عُرس قانا الجليل، وأن أم النور كانت تعلم ذلك، ولهذا طلبت منه أن يكرر المعجزة منعاً من إحراج العريس (الذي قيل إنه كان أحد أبناء أختها مريم زوجة كلوبا) وإستجاب الرب يسوع لشفاعتها فوراً (يو ٢: ١ ـ ١١).

(٣٩) ويذكر ميمر البابا ثاوفيلس ـ ومؤرخين اخرين ـ أن أحد أقارب العذراء مريم، ويدعي «يوسي» [٥٦] (وفي مصدر آخر قيل أنه «موسي») قد أمكنه بعد تعب وسفر طويل ـ من فلسطين ـ أن يرشده الله إلي مقر العائلة المُقدسة في جبل

(55) Abu Saleh, Ibid., Fol. 19 A .

(٥٦) يرجح البعض أنه «يوسي» إبن مريم زوجة كلوبا وأخت أم النور (راجع متي ٥٦:٢٧، مر ٣:٦، يو ٢٥:١٩) بينما يري غيره أنه كان إبن يوسف النجار من زوجة سابقة، وقال اخرون أنه كان يُدعي «موسي»

قسقام (موضع دير المحّرق الحالي)، وأعلن لهم أن هيرودس (الملك الشرير) قد قتل أطفال بيت لحم وما حولها (مت٢:١٦).

كما ذكر «يوسي» أيضاً أن هذا الطاغية قد أرسل وراءهم عشرة جنود، للقبض علي الطفل يسوع وأسرته أحياءً، والعودة بهم إلي أورشليم ليقتلهم بيديه هناك. ويشير الدكتور ميناردوس إلي رواية تقول إن الشيطان قد ظهر إلي هيرودس الطاغية، وأعلن له بأنه يعرف مكان العائلة المقدسة ـ في مصر ـ وحثه علي إرسال بعض رجاله للقبض عليهم وأن «موسي» (أو يوسي) سمع بهذه الأمور فأسّرع قبل وصول الرجال، ليحذرهم منهم.

(٤٠) فخافت أم النور علي وليدها الإلهي، وأسرَعت بالصعود إلي الغرفة العليا التي أعدها القديس يوسف له ولأمه للإختباء فيها.

فطمأنّها الطفل يسوع وقال لها بحنان: «لا تخافي ـ يا أمي ـ ولا تبكي، لأن بكاءك يُحزنني. وأعلمي أن الوقت لم يأتِ بعد ليُسلّم ابن الإنسان (للصلب والموت). وسوف لا يعرف الجند مكاننا هنا».فإطمأنّت أم النور، وآمنت بكلام يسوع.

ثم تطلع ـ له المجد ـ إلي يوسف النجار وإلى سالومى، وقال لهما أيضاً : «لا تخافا»، فوثقا في كلمته ورعايته.

(٤١) ثم إلتفت الصبي الإلهي ـ وخاطب يوسي ـ قائلاً: «لقد تحملت الكثير من المتاعب، من أجلنا، وأن أجرك كبير».

ثم صمت وقال له: «والآن استرح (من عناء الحياة الدُنيا)، وهنا (في قسقام) يمكنك أن ترقد» (في الجسد). فأطاعه يوسي، ومضي ووضع رأسه علي حجر علي الأرض، وأغمّض عينيه، وأسلم الروح بيد الرب (٥٧).

فقام القديس يوسف النجار وسالومي بدفنه بجوار البيت، ووضعا علي قبره حجراً نقش عليه القديس يوسف بالعبرانية ما يلي: «أنا يوسف النجار، الذي من الناصرة... أقرر إنني ـ وخطيبتي مريم العذراء وسالومي ورب المجد ـ أننا قضينا في هذا المكان ستة أشهر وعشرة أيام، بذلك الجبل (قسقام) الطاهر، وأنه في هذا الموضع يرقد يوسي». وهو ما رواه أنبا قرياقص أسقف البهنسا في ميمره عن العائلة المُقدسة (٥٨).

(٥٧) البابا ثاوفيلس، مخطوط رقم ١٤/٩ بدير المحرق .
(٥٨) نيافة الأنبا غريغوريوس، المصدر السابق ص ٨١ .

ولا يزال التقليد القديم بوجود قبر «يوسي» بالدير المحرق سائداً هناك. ويذكر نيافة الأنبا غريغوريوس بأنه يوجد هناك مخطوطة تشتمل علي قراءات دورة عيد الصليب المجيد [٥٩]؛

« وفي المحطة التاسعة - خلال تلك الدورة - نقرأ في المخطوطة ما يلي: [٦٠] «إنهم يتوجهون إلي قبر يوسا، عند عتبة بارزة عن أرض الدير، عند الزاوية الغربية الجنوبية من الحائط الغربي لكنيسة العذراء الأثرية - من الخارج - ويتلون صلوات دورة الصليب هناك».

(٤٢) وقيل إن كنيسة العذراء الأثرية المذكورة (في الجهة الغربية من الدير المحرق) بُنيت سنة ٦٠م بعد مجيء القديس مارمرقس لمصر.وأن السيد المسيح قام بنفسه بتدشينها بالماء، بحضور تلاميذه، كما جاء في الرؤيا التي ظهرت فيها أم النور لقداسة البابا ثاوفيلس (البطريرك ٢٣ في أواخر القرن الرابع) وقصت عليه تفاصيل الرحلة التاريخية للعائلة المقدسة بمصر، وأعلنت له فيها أن السيد المسيح له المجد هو الذي دشن هذه

(٥٩) مخطوطة رقم ١٣ د/ ١٩ (ورقة ١٩) بكنيسة العذراء بالدير المحرق.

(٦٠) ورقة ٤٦ من نفس المخطوطة السابقة.

الكنيسة [٦١]. وقام الأنبا باخوميوس أبو الشركة بإنشاء الدير وأسواره سنة ٣٤٩م وقد تم ترميم كنيسة العذراء ٥ مرات. وترجع الكنيسة الحالية الي القرن ١٢ ـ ١٣ م .

+ + +

الأمر الإلهي بعودة العائلة المقدسة إلي فلسطين:

(٤٣) يذكر الوحي المقدس، كما جاء في بشارة الرسول متي الإنجيلي والشهيد أنه: «لما مات هيرودس، إذا بملاك الرب (غبريال) قد ظهر ليوسف (النجار) في الحلم في مصر (في جبل قسقام) قائلاً: "قُم وخذ الصبي (يسوع) وأمه (مريم) وإذهب إلي أرض إسرائيل، لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي» (مت ٢: ١٩ ـ ٢٠).

✠ ✠ ✠

السيد المسيح يُبارِك المكان قبل العودة لفلسطين:

(٤٤) سجّل البابا ثاوفيلس ما نصه: «وقبل أن تغادر العائلة المقدسة المكان (جبل قسقام) فتح الطفل الإلهي فاه

(٦١) السنكسار المخطوط والموجود بدير المحرق (رقم ٩/٢، ٩/٣) كما سجله نيافة الأنبا غريغوريوس في كتابه عن الدير ص ١٠٦ . والدفنار (٦ هاتور). Mienardus, op. cit. p. 58.

وقال: «فلتدُم بَرَكة أبي الصالح - والروح القدس - في هذا البيت (دير المحرّق) إلي الأبد» .

ثم تنبأ وخاطب أمه البتول وقال: «إن في هذا المكان، الذي ترينه يا أمي القديسة - ستُقام فيه كنيسة (دير) . وهذا البيت سيكون هيكلاً مكرساً لله، يقدمون فيه للرب ذبائح (قداسات) ونذوراً، وملاك السلامة يبارك كل من يأتي اليه، ويسجد فيه بأمانة، والذين سيقربون سيظلّون علي الإيمان الأرثوذكسي (السليم) الي يوم مجيء الثاني» (قبل نهاية العالم) .

«وكل من يأتي إلي هذا البيت (الدير) بإيمان وعبادة، سأمنحه مغفرة جميع خطاياه، إذا إعتزم عدم العودة إليها، وسأجعله في عِدَاد القديسين».

«وكل من كان في شدة، أو في مرض، أو حزن، أو ضيق، أو خوف (قلق) وأتي إلي هذا المكان المقدس، وسجد فيه، وصلي وطلب أمراً – بمشيئة الله - أستجيب له إكراماً لإسمكِ الطاهر، ياوالدتي العذراء».

«واعلمي - يا أمي مريم - إن هذا البيت سيكون مأوي

للغُرباء، وسيُصبح بيتاً يضم رهباناً قديسين، لا يستطيع حاكم أن يؤذيهم بشرٍ، لأنه صار مأوي لنا » (٦٢).

+ + +

حد الرحلة المقدسة الجنوبي:-

(٤٥) تُجمِع الكثير من المصادر الكنسية والتاريخية (٦٣) علي أن منطقة جبل قسقام (الدير المحرّق) هي آخر بقعة (في الصعيد) وصلت اليها العائلة المُقدّسة، في رحلتها الخالدة إلي مصر.

وإن كان البعض يرجحون أن العائلة المُقدسة قد توجهت وهي في طريقها الي ميناء أسيوط - علي النيل - الي موقع دير العذراء الحالي بجبل «درنكة» (ويبعد حالياً ٨ كيلو مترات الي الغرب من أسيوط) وتمتلىء هذه البقعة المقدسة بالزوار خلال أيام صوم العذراء الطاهرة، وتظهر خلالها بعض الظواهر الروحية هناك.

(٤٦) وفي هذا المجال يقول الأستاذ الألماني ميناردوس أن هناك تقليداً قديماً يذكر أن أقصي حد وصلت اليه العائلة

(62) meinardus, Monks and Monasteries, pp. 286 - 87 .

(63) Coptic Ency., art. The Flight Into Egypt.

المقدسة في صعيد مصر هو منطقة دير «درنكة» الحالي والتي تقع الي الغرب من مدينة أسيوط الحالية (= Lycopolis (Wolf Town) ويحضر عشرات الآلاف من الزوار (Pilgrims) للإحتفال بتذكار وجود العائلة المقدسة في تلك المنطقة التي كانت تضم مقابر حجرية من الأسرات الفرعونية من التاسعة حتي الثالثة عشرة. ويذكر الأستاذ ميناردوس أيضاً أن هذه الحقيقة لا يمكن إنكارها حيث أن المقريزي يذكر أنه كان في هذه المنطقة العديد من الأديرة والكنائس في زمانه (منتصف القرن ١٥ م). كما سجّل التاريخ القبطي أن كثير من الرهبان قد عاشوا في جبانتها (Necropolis) أثناء الإضطهاد الروماني. كما عاش فيها القديس يوحنا الأسيوطي (Jhon of Lycopolis) في القرن الرابع.

(٤٧) وقد شيّد نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط كنيسة بدرنكة سنة ١٩٥٥، وتقع الي الشرق من المغارة التي من المفترَض أن العائلة المقدسة قد استراحت بها (٦٤). ومن ميناء أسيوط أخذت العائلة المقدسة مركباً في النيل ووصلت الي مدينة منف.

+ + +

(64) Meinardus, The Holy Family In Egypt. P. 95 .

خط سير رحلة العودة إلي فلسطين:-

(٤٨) تذكر مصادر كثيرة أن العائلة المقدسة سلكت نفس الطريق السابق في العودة، حيث نزلت علي الشاطيء الغربي عند كنيسة العذراء بالمعادي. ثم مرت علي مصر القديمة، ثم أخذت طريقها إلي المطرية (عين شمس القديمة) ومنها إلي مسطرد (المحمّة) ومن هناك توجهت إلي مدينة (Lentopolis) وموقعها حالياً خرائب تل اليهودية قُرب شبين القناطر، ومنها توجهت إلي بلبيس وبسطة، وفاقوس، والفرما، والعريش ثم إلي غزة.ومنها إلي الناصرة، حيث إستقرت هناك سنوات طويلة (لو ٢:٤٢)، حتي أكمّل الفادي وقت بدء الخدمة الرسمية (في الثلاثين من عمره حسب الشريعة الموسوية).

+ + +

مدة بقاء العائلة المقدسة في مصر:-

(٤٩) هناك آراء مختلفة عن المدة التي قضتها العائلة المُقدسة في أرض مصر، فقد حددها البعض بين عامين وثلاثة ونصف وأربعة أعوام، وقد نشرت أخيراً عالمة الآثار الألمانية الجنسية «چيزا شنكل»، مخطوطة (بردية) قبطية باللهجة القبطية الفيومية، وجدتها بإحدي مكتبات جامعة «كولون» بألمانيا (٣١,٥ سم X ٨,٤ سم) وحددت مدة بقاء العائلة المقدسة بمصر" بأربع سنوات."

وقد جاء في تعليق للزميل الدكتور جودت جبرة - عالم القبطيات المعروف - بأن هذه البُردِّية توضح فترة وجود السيد المسيح - مع العائلة المقدسة - بمصر بمدة ٤ سنوات بالتحديد، وهو الرأي الأرجح لدي المؤرخين والباحثين وعلماء الآثار

المصرية (جريدة الأهرام في ١٩٩٨/٦/٦)، لاسيما وأنها بقيت بمصر، حتي موت هيرودس الطاغية، ثم عادت إلي فلسطين بعد موته - بطريقة بدائية-في السفر والترحال، وهو ما يستغرق وقتاً طويلاً جداً، سواء في الوصول إلي مصر، أو للعودة منها إلي الناصرة.

✣ ✣ ✣

بعض الدروس المُستفَادة من تلك الرحلة الخالدة:

(١) ضرورة طاعة الله في «الخطة» التي يُدبّرها اللّه للإنسان المؤمن، وللمكان الذي يطلب منه أن يذهب إليه، وشكره علي تدبيره الصالح، ولا يتذمر علي إرادته الصالحة، مهما كانت تتعارض مع إرادتنا، لأنه أعلم منا بمصلحتنا (سيرة يوسف الصِدّيق).

(٢) أن الألم «بَرَكَة» عُظمي (فيلبي ١:٢٩) لذلك فإن

الرب له المجد لم يحرم «أم النور» من بركات الألم، منذ صغرها، وحتي ساعة نياحتها السعيدة كمثال لنا.

(٣) إذن من الضروري أن يتألم المؤمن، ويُحَارب بشدة أيضاً، سواء من الشياطين أو من الأشرار، أو غيرهم. وإن كان الله يسمح بالألم، لكنه يضع معه «المنفذ» (١ كو ١٠:١٣). ويساعد المؤمن بكل قوته: "أنه كلما كثُرَت آلامنا، كُثرت تعزياتنا أيضاً» (٢ كو ١:٥):«كثيرة هي أحزان الصدّيقين (الأبرار)، ومن جميعها يُنجيّهم الرب» (مز ١٩:٣٤).

(٤) أنه لابُد أن يضع الله حداً لظُلم الطُغاة في وقت ما، وينتقم منهم، إن آجلاً أو عاجلاً. ولذلك لم نسمع أن العائلة المقدسة كانت تدعو علي هيرودس الطاغية،

بالانتقام منه بل فوّضت أمرها لله، حتي تدّخل وأعاد الأمور الي نصابها ، مما يقتضي منا الصبر والشُكر، والخضوع لمشيئة الله، حتي يُدبّر الله الأمر.

(٥) لا يسمح الرب بالإعتداء علي أولاده، بل يحرسهم ويرعاهم دائماً. ويقودهم باستمرار، في كل مكان وزمان، إلي أن يسعدوا بالفردوس.

(٦) أنه ينبغي أن يتحلّي الإنسان بالحكمة، ويهرب فوراً من أمام الأشرار، ومن الشهوات، والعادات الضارة، ومن الأفكار الشريرة، التي تحُطّم النفس ... الخ، وهو هروب «إيجابي» مرغوب ومحبوب، ومطلوب دائماً.

وفي المقابل، لا يلجأ إلي أسلوب الهروب «السلبي» سواء

بالهروب من الله، أو من بيته، أو من خدمته، أو من وسائط النعمة، ولا الهروب من المسئوليات الرسمية، أوالإجتماعية، وغيرها، أو عدم تنفيذ وصاياه. مما يفقده رضاه، في دُنياه وأُخَراه.

ولله الحمد والشُّكر من الآن وكل أوان وإلي دهر الدهور كلها، آمين.



الفهرست

الصفحة

الفهرست

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٦٩٣ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 0394 - 0

هذا الكتاب

يتضمن وصفاً تفصيليا لرحلة العائلة المقدسة، فى الديار المصرية، والمدن، والأماكن التى توقفت فيها، ولمحة تاريخية عن كل منها، والأحداث التى حدثت فيها، والتقاليد التى دُوِّنت عنها، فى المخطوطات القبطية، وآراء كل من المؤرخين القُدامى، وعلماء الآثار المصريين والأجانب. كما تشمل هذه الدراسة أسباب مجئ العائلة المقدسة إلى بلادنا، والحد الذى وصلت إليه جنوباً، والمدة التى مكثتها والدروس الروحية المستفادة من تلك الرحلة الخالدة. نُقدِّمها للقارئ فى مصر والمهجر بمناسبة قُرب إحتفالات العالم كله ببدء الألفية الثالثة لميلاد السيد المسيح له المجد.



الموسوعة القبطية الشاملة

٣

١ - عذارى حكيمات
٢ - رسالتان الى كل إنسان
الإنشغال بالله - أهرب لحياتك
٣ - هل أقترب موعد مجيئ المسيح ؟
درس لفلاحة النفس (مثل الزارع)
٤ - المسيح فى مصر
٥ - الزينة من مفهوم مسيحى
(أجمل هدية للخطيبة والعروس ...)
٦ - الإيمان المر...
(الحسد - الحظ - التشاؤم - التف...)
٧ - هل تدخين السيجار...
٨ - العثرة والقد...
من منظور مسيحى
٩ - دراستان هامتان ...
الجدية فى الحياة الروحية ...
الربح والخسارة من منظور مس...
١٠- باقة من التعاليم الرو...
١١- الكاس لمي...
١٢- لماذا لا يستجيب ال...
كيف تتحقق لنا الأ...
والرغبات والطلبات ...

الثمن ١٠٠ قرشاً

مكتبة المحبة ٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت: ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٧٧٧٤٤٨